بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

أفريقيا من قارات العالم القديم التى يعتقد البعض أنها قد تكون الوطن الأول للإنسان، لكن مع ذلك فقد ظلت معرفة العالم الخارجى بها أو على الأقل بما فى داخلها ضعيفاً حتى القرن التاسع العشر حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية.

فأخذ النقاب يُكشف عن خبايا هذه القارة، ولذا فقد أطلق البعض على القارة الأفريقية تعبير (القارة المظلمة) أو السوداء، أى القارة التى لا يعرف العالم عما بداخلها الشيء الكثير، وقيل إن التسمية ترتبط بسواد بشرة سكانها.

ولذا فتاريخ أفريقيا الحديث فى جملته يتصل بعلاقة الأوربيين بالذات بهذه القارة ـ تلك العلاقة التى بدأت بمحاولات الكشف عن خبايا القارة ثم انتهت إلى إستعمار الأوربيين للقارة، ذلك الاستعمار الذى اشتدت حدته حتى كادت الدول الأوربية ذاتها أن تصطدم بعضها البعض الآخر فى سبيل الإستحواذ على أكبر نصيب من هذه الغنيمة التى ظهر أنها تستطيع أن تُقدم للأوربيين خدمات عظيمة خاصة بعد الثورة الصناعية الكبرى فى أوربا وإزدياد الحاجة للمواد الخام اللازمة للصناعة وللأسواق لتصريف الفائض من الإنتاج، وكذلك بعد كشف العالم الجديد وظهور الحاجة للأيدى العاملة القوية الرخيصة لتعميره لتحقيق الرفاهية للأوربيين.

وكان طبيعياً أن يُدافع الأفريقى عن حقوقه الطبيعية ـ حقه فى التمتع بحريته الكاملة دون تدخل أجنبي، وحقه فى أن يتمتع بحياته الخاصة كما أرادها هو، وحقه فى أنَّ يستغل خيرات بلاده، لذلك قاوم الأفارقة الأوربيين حين أخذوا يبسطون سُلطانهم على السواحل والموانى الأفريقية وحين أخذوا يتوغلون للداخل وحين أمتدت أبصارهم وأيديهم للأفارقة أنفسهم ولخيرات بلادهم فحفل تاريخ أفريقيا الحديث، ثم المعاصر بحركات المقاومة للتدخل الأجنبي.

وظهرت بطولات أفريقية عديدة، وكُشف النقاب عن الدور الذى لعبه البعض فى مقاومة المستعمر، وضاعت معالم الكثير من هذه الحركات فلا تكاد تذكر إلا فى بعض الأحيان فى السجلات العسكرية للدول الأوروبية.

وقد اختلفت السياسات التى إتبعتها الدول الاستعمارية فى إدارة مستعمراتها وفى موقفها من الوطنيين، فبعضها حكم مستعمراته حكماً مطلقاً وحاول القضاء تماماً على الشخصية الخاصة للمستعمرة وللوطنيين مدعياً أنه يحكم شعوباً لا حضارة لها ولا قدرة لها على المساهمة فى أى نشاط، بينما إتبع البعض الأخر سياسة أكثر مرونة فأستعان بالعناصر الوطنية لتنفيذ مخططاته ووجد أنه يستطيع بذلك تحقيق أهدافه كاملة بيسر وبتكاليف أقل.

هذا وقد جر الأوروبيون الأفارقة معهم فى معارك الحربين العظميين الأولى والثانية التى خاضها الأوربيون فى صراعهم بعضهم ضد البعض الأخر، فكان الأفارقة يحاربون فى صف هذه أو تلك من الدول الأوروبية سواء عن قناعة منهم أو ترقباً للظفر باستقلالهم جزاء ما قدموه للسادة الأوروبيين أثناء محنتهم، أو أنهم كانوا يسافرون للمشاركة فى هذه الحرب دون إرادتهم.

ومهما يكن الدافع وراء إشتراك الأفارقة فى هذين الحربين وتحملهم التضحيات الجسام فى هذه الميادين - فإن النتيجة الحتمية كانت يقظة الوعى القومى الأفريقى واشتداد حركات المقاومة للاستعمار الأوربي، والتصدى لاتجاه الدول الأوروبية للحنث بوعودها التى قدمتها بسخاء أثناء الحرب فى محاولة لإكتساب الأفارقة لتقديم المزيد من التضحيات فى ميادين القتال وخلفها، لكن الأوروبيين حاولوا بعد أن خرجوا من هذه الضيقة الكبرى أن يتحللوا من وعودهم.

على أن التيار التحررى كان أقوى، وانتهى الأمر كما ذكرنا باجبار المستعمر على أن يحمل عصاه ويرحل.

وقد حظيت المنظمتين الدولتين اللتين تمخضت عنهما الحرب العالمية الأولى والحرب العظمى الثانية وهما (عصبة الأمم)، ثم (هيئة الأمم المتحدة) واللجان التابعة لهما بنقاش طويل ومرير حول حقوق هذه الدول الأفريقية أو تلك فى التحرر، وكان موقف بعض الدول الأوروبية فى هذه المناقشات غريباً وعجيباً

فقد ادعت بعضها مثلاً أن قضية المستعمرات لا تنطبق عليها أحكام القوانين فى الدولة القاضية بحق الشعوب فى التمتع بحريتها وحقوقها الطبيعية فى بلادها فهى مجرد امتداد للدولة الأوروبية الأم وليست مستعمرة أستحوزت عليها بالقوة والعنف.

على أننا نشير إلى أن الوعى الأفريقى أسفر عن محاولة للتقارب مع حركة النضال فى القارة الأسيوية، فقد كانت شعوب القارتين تعانى من نفس المشكلة فأسندت حركة (التضامن الأسيوى الأفريقي) والاجتماعات المتعددة لقادة وزعماء الدول فى القارتين، وكذلك جهود الأفارقة سواء المقيمين خارج القارة أو المناضلين بها إلى قيام منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٩٦٣، ساعد على ذلك ما حظى به عدد غير قليل من الأفارقة من ثقافة وعلم وما ساهمت به التجارب المتعددة والمترامية التى مرت بها شعوب القارة الأفريقية من صقل للشخصية الأفريقية فى مختلف أنحاء القارة.

وكانت مشاكل ما بعد الاستقلال وما زالت أشد إلحاحاً وأكثر وضوحاً من المشاكل السابقة التى كانت تواجه الأفارقة ـ فقد كانت المشاكل فى الفترة السابقة محصورة فى الكفاح ضد المستعمر المستغل، لكن عصر الاستعمار الطويل أسفر عن مشكلات عدة ـ اقتصادية، وثقافية، واجتماعية، وصحية بالاضافة إلى المشكلات التى تتعلق بالحدود السياسية التى رسمها الاستعمار بين الدول الأفريقية دون مراعاة لمصالحها أو لوحدتها القومية، هذا بالإضافة أيضاً إلى العديد من المشكلات الأخرى التى وجدت مع الاستعمار مثل مشكلة التمييز والتفرقة العنصرية وهى مشكلة خلفها الاستعمار وكان على الأفارقة أن يناضلوا حتى قضوا بعد كفاح مرير على هذه المشكلة المريرة.

★★★

من هذا العرض السريع يتضح لنا أن تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر يتمثل في:

١ ـ حركات الكشف الأوروبى لأفريقيا.

٢ ـ الاستعمار الأوروبى للقارة.

وسنحاول فى هذا المجال إعطاء تعريف للاستعمار الحديث ينطبق على ما تم فى أفريقيا ثم نحاول أن نتعرف على دوافع الاستعمار الأوروبى لأفريقيا وبعد ذلك سندرس الدور الذى لعبته كل دولة أوروبية فى القارة وموقف الوطنيين منها والطريقة التى أدارت بها الدول الأوروبية مستعمراتها ووضع الأفارقة فى ظل هذه الإدارة الاستعمارية.

٣ ـ كفاح الأفارقة فى سبيل الاستقلال والظروف التى ساعدت على قيام منظمة الوحدة الأفريقية.

٤ ـ المشكلات التى خلفها الاستعمار الأوروبى فى القارة.

٥ ـ الصراعات الداخلية فى الدول الأفريقية وانعكاساتها على حركة التقدم والتنمية فى هذه الدول والحقيقة الهامة التي يجب إبرازها ونحن نتعرض لدراسة تاريخ أفريقيا الحديث هى أن الكثير من صفحات التاريخ الأفريقى الحديث لم يكشف عنها النقاب بعد، فقد تناول الكُتاب والمؤرخون الأجانب نواحى معينة من هذا التاريخ من وجهة نظرهم هم، ولذا يحتاج الأمر لجهد ضخم من الكتاب والمؤرخين الأفارقة لكتابة تاريخهم بأنفسهم معتمدين على المصادرالأصلية والوثائق التى يذخر بها أرشيف وزارات المستعمرات السابقة فى الدول الأوروبية، ودور المحفوظات فى هذه الدول مبرزين الدور البطولى للمقاومة الوطنية للاستعمار وهو ما حاول الكتاب الأجانب إخفاؤه أو تشويهه.

وقد حاولنا قدر المستطاع ـ فى هذا الكتاب إبراز دور المقاومه الوطنية فشرحنا دور كل من عبد الكريم الخطابى وعبد القادر الجزائرى وثورة الماجى ماجى فى تنجانيقا ومعركة عدوة بين الإيطاليين والأثيوبين ودور نيلسون مانديلا فى جنوب أفريقيا وغيرها من الحركات الوطنية على أساس أنها الصورة المشرقة لموقف الأفارقة من المستعمرين الأوربيين ـ لكن لا شك فى أن هذه الحركات الوطنية تحتاج لدراسة منفصلة وعميقة وهذا ما تناولناه فى كتابنا بعنوان (بطولات أفريقية).

والله ولى التوفيق

**المؤلفان**